فدًى لأبي المسك الكرام

وقاد إليه فرساً فقال يمدحه:

[الطويل]

فِـرَاقٌ وَمَـنْ فَـارَقْـتُ غَـيْـرُ مُـذَمَّـمِ
وَأَمٌّ وَمَـنْ يَـمَّـمْـتُ خَـيْـرُ مُـيَـمَّـمِ (١)
وَمَـا مَـنْـزِلُ الـلَّـذَّاتِ عِـنْـدِي بِـمَـنْـزِلٍ
إِذَا لَـمْ أُبَـجَّـلْ عِـنْـدَهُ وَأُكَـرَّمِ (٢)
سَـجِـيَّـةُ نَـفْـسٍ مَـا تَـزَالُ مُـلِـيـحـةً
مِـنَ الـضَّـيْـمِ مَـرْمِـيًّـا بِـهَـا كُـلُّ مَـخْـرِمِ (٣)
رَحَـلْـتُ فَـكَـمْ بَـاكٍ بِـأَجْـفَـانِ شَـادِنٍ
عَـلَـيَّ وَكَـمْ بَـاكٍ بِـأَجْـفَـانِ ضَـيْـغَـمِ (٤)

= إلى كلّ نفس، فهم كرماء أسخياء أقوياء شجعان يعرفون كيف يضربون رؤوس أعدائهم.

(١) الأمّ: القصد. يممت: قصدت. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية، كاشفاً عمّا يُعانيه من تشتت فكري بين ماضيه مع سيف الدولة، لقد فارقه، وهو لا يذمّ على ما قدّمه له من الهبات والرعاية والأمن، وبين كافور آملاً فيه أن يكون نعم الممدوح الذي يأمل منه كلّ خير.

(٢) يكشف الشاعر عن أمانٍ عذاب تُدغدغ أحلامه بعيش كريم حيثما ينزل، في كنف كافور، فمفهوم السعادة بالنسبة إليه يتلخّص بحياة رغيدة وكرامة موفورة، فلا يطيب له عيش في وهدة الذلّ والمهانة.

(٣) سجية: صفة. المليحة: الخائفة. الضيم: الذلّ. المخرم: الطريق في الجبل. كأن الشاعر يذكر الأسباب التي من أجلها ترك سيف الدولة وقصد كافوراً. وكأنه يُحذّر كافوراً من الاستهتار به والاستهانة بكرامته، إنها سجيّة وطبع متأصّل في حياته سلوكاً وتجربة ومعاملة، لذا فإنه يخترق كلّ ما هو يصعب على المرء عبوره كالمخرم وسواه في الجبال ضنًّا بكرامته من أن تُذلّ أو تنتقص.

(٤) الشادن: ولد الغزال. الضيغم: من أسماء الأسد. لقد فارق الشاعر سيف الدولة، فبكى الأمير لفراقه نادماً على التفريط به دون قصد منه، وثمة من يبكي لفراقه بأجفان حرّقها الشوق والحبّ لشخص الشاعر.

وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ المَلِيحِ مَكَانُهُ
بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ (١)
فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ
عَذَرْتُ وَلٰكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمِ (٢)
رَمَى وَاتَّقَى رَمْيِي وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى
هَوًى كَاسِرٌ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمِي (٣)
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ (٤)
وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ
وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ (٥)

(١) القُرط: ما يعلّق بشحمة الأذن من حلًى. أجزع: أشدّ خوفاً. الحسام: السيف البتّار. المصمّم: الذي يطبق العظام. يُتَمّ الشاعر الفكرة، فالمرأة، ولعلّه يقصد بها أخت سيف الدولة، وسيف الدولة جزعا لفراق الشاعر، ولا ريب أن ربّ الحسام كان أكثر حزناً من ربّة القرط.

(٢) يقصد الشاعر بالحبيب المقنع: المرأة، والحبيب المعمّم: الرجل. ما يُثير ألم الشاعر أن الغدر الذي نزل بساحته كان من قبل رجل ولم يكن من قبل المرأة، فالغدر من طبع النساء لضعفهن، وكأن الرجل قد ضعف فلجأ إلى الغدر.

(٣) يُنوّه الشاعر بحبّه وإخلاصه لسيف الدولة، فقد أغناه من عطاياه ولكنه أساء إليه، فلم يستنصر له ضدّ حسّاده وأعدائه، ومع ذلك فلم يلجأ إلى هجائه، فعطّل كل وسائل متوفّرة وأسلحة لصبّ جام غضبه عليه، فلم يفعل، فحبّه كان أقوى من غضبه.

(٤) ورد البيت في: معاهد التنصيص، للعباسي ٢: ١٨٦، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. يعتاده: ينتابه. يُعقّب الشاعر على كلامه أن سوء ظنّ المرء يُوقعه بالأخطاء والإساءة إلى الآخرين، فإذا ما شاهد شيئاً أو سمع كلاماً يفسّره بما يتوافق مع ظنونه السيّئة المريضة، وهذا سببه أنه ناتج عن أوهام سيّئة فيه.

(٥) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. يُردف الشاعر معقباً بأن سيف الدولة كان سيّئ الظنّ فأخطأ في أحكامه، فإذا به يُعادي الشاعر الذي يُكنّ له كل حبّ وإخلاص، بسبب وِشاية عدوّه، وللأسف فلم يميّز بين الصديق والعدوّ لاختلاط الرؤية في فكره ونظره، فإذا به يتخبّط في دياجير الشكّ المظلمة.

أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ
وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ (١)
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ
مَتَى أَجْزِهِ حِلْماً عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ (٢)
وَإِنْ بَذَلَ الإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ
جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ (٣)
وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ
نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْمُقَوَّمِ (٤)
خَطَتْ تَحْتَهُ الْعِيسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ
بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ (٥)

(١) يُتابع الشاعر حديثه وتأمّلاته في لحظة حزن وألم عن مفهومه للصداقة، فالتآلف بين بني البشر، يبدأ باكتشاف فضائل الخير في النفس البشرية وعكوفها على حبّ مجرّد من كلّ غاية مادية؛ والتقارب الروحي والوجداني هو المعوّل عليه في عالم المثل النبيلة، والشاعر قادر على التمييز بين ما ينبع من القلب وما لا يتجاوز اللسان.

(٢) الخلّ: الصديق، الصاحب. لقد رسم الشاعر لنفسه منهجاً يتّبعه في معاملته لصديقه، إنه لا يُسارع إلى ردّ الإساءة بمثلها، بل إنه يغفر لصاحبه خطأه ويُبادله بالحلم، وفي حال تبيّن للصديق جهله كان ردّه اعتذاراً وندماً على ما بدر منه.

(٣) يُتابع الشاعر تأملاته مركّزاً على كرامته وعِزّة نفسه، فهو لا يقبل صلة من يقدمها له، وهو عابس مقطّب، إنّما يُجازيه بتركها وهو يبتسم شاكراً له عطاءه، فيردّه ردًّا جميلاً.

(٤) السميذع: السيد الكريم الجميل. النجيب: الفاضل الكريم. السمهري: الرمح. الصدر: مقدم الرمح ممّا يلي السنان. يُعلن الشاعر عن حبّه لمن يمتاز بمواصفات عالية الجودة، إنه سميذع، سيّد كريم طبعاً وتطبّعاً جميل سهل المخالقة متواضع شجاع نجيب مضياف طويل القامة مستقيم كأنه رمح قوّة وشكلاً.

(٥) خطت: جابت الآفاق. العيس: الإبل البيضاء. الكبات، الواحدة كبّة: الحملة في الحرب. الخميس: الجيش العظيم المؤلف من خمس فرق. العرمرم: الكثير. يُتابع الشاعر وصف من يتخذه صديقاً له، إنه المغامر الذي لا يستقر بمكان، يمتطي ظهر العيس ويخترق القفار لا يستقرّ له قرار، يصول ويجول في ميادين القتال ويخترق =

وَلَا عِـفَّـةٌ فِـي سَـيْـفِـهِ وَسِـنَـانِـهِ
وَلَـكِـنَّـهـا فـي الْـكَـفِّ وَالـطَّـرْفِ وَالْـفَـمِ (١)
وَمَـا كُـلُّ هَـاوٍ لِـلْـجَـمِـيـلِ بِـفَـاعِـلٍ
وَلَا كُـلُّ فَـعَّـالٍ لَـهُ بِـمُـتَـمِّـمِ (٢)
فِـدًى لِأَبِـي الـمِـسْـكِ الْـكِـرَامُ فَـإِنَّـهَـا
سَـوَابِـقُ خَـيْـلٍ يَـهْـتَـدِيـنَ بِـأَدْهَـمِ (٣)
أَغَـرَّ بِـمَـجْـدٍ قَـدْ شَـخَـصْـنَ وَرَاءَهُ
إِلَـى خُـلُـقٍ رَحْـبٍ وَخَـلْـقٍ مُـطَـهَّـمِ (٤)
إِذَا مَـنَـعَـتْ مِـنْـكَ الـسِّـيَـاسَـةُ نَـفْـسَـهَـا
فَـقِـفْ وَقْـفَـةً قُـدَّامَـهُ تَـتَـعَـلَّـمِ (٥)

= صفوف الأعداء في الجيش الخميس العرمرم، فلا يعرف له الخوف مدخلاً. هل يصف الشاعر نفسه أو يصف سيف الدولة؟!

(١) يُتابع الشاعر وصف صديقه الذي يحلو له أن يتّخذه صديقاً له، إنه لا يصفّ في القتال، يقتل الأقران من الأبطال، وسيفه لا يكلّ ورمحه يخترق الأكباد ويمزّق الصدور، ولا يتعفف عن الاستئثار بدمائهم دون سواه، وهو عفيف اليد فلا يتكالب على أموال غيره فلا يأكل إلّا حلالاً طيباً مباركاً فيه، وهو عفيف اللسان فلا يذكر عورات سواه بسوء، ولا يزني.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. يُعقّب الشاعر قوله أن ليس كلّ محبّ للمكرمات بقادر على فعلها، وحتى لو باشر فعلها قد لا يقدر على إيفائها حقَّها من الكمال، فالأمر يتطلّب قوّة إرادة وعزيمة صادقة وصبراً حتى يتمّ له ما أراد.

(٣) الأدهم من الخيول: الأسود. يتخلّص الشاعر من نثر تأملاته في الحياة ليمدح كافوراً، إنه أبو المسك، ذلك الطيب الغالي الثمن، الرفيع القيمة، فالكرام من الناس يفدونه بأرواحهم، وهو سبّاق في ميدان الكرم، به يهتدي الكرماء ويقتدون.

(٤) شخص بصره: رفعه. الرحب: الواسع. المطهّم: التام. يُتابع الشاعر مدح كافور إنه أبيض المجد، فغرّته مشرقة للعلن بحيث يشخص الكرام بأنظارهم إليه بإعجاب، لأخلاقه الرفيعة الواسعة التي تتّسع لمخالقة كلّ مخلوق يمتاز بجمال الخلقة التامّة.

(٥) يُخاطب الشاعر الملأ مشيداً بحسن سياسة كافور، فمن أراد أن يتعلّم فن السياسة =

يَـضِـيـقُ عَـلَـى مَـنْ رَاءَهُ الْـعُـذْرُ أَنْ يُـرَى
ضَـعِـيـفَ الـمَـسَـاعِـي أَو قـلِـيـلَ الـتَّـكَـرُّمِ (١)
وَمَـنْ مِـثْـلُ كَـافُـورٍ إِذَا الْـخَـيْـلُ أَحْـجَـمَـتْ
وَكَـانَ قَـلِـيـلاً مَـنْ يَـقُـولُ لَـهَـا ٱقْـدُمِـي (٢)
شَـدِيـدُ ثَـبَـاتِ الـطِّـرْفِ وَالـنَّـقْـعُ وَاصِـلٌ
إِلَـى لَـهَـوَاتِ الْـفَـارِسِ الـمُـتَـلـثِّـمِ (٣)
أَبَا الـمِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْراً عَلَى الْعِدَى
وَآمُـلُ عِـزًّا يَـخْـضِـبُ الْـبِـيـضَ بِـالـدَّمِ (٤)
وَيَـوْمـاً يَـغِـيـظُ الْـحَـاسِـدِيـنَ وَحَـالَـةً
أُقِـيـمُ الـشَّـقَـا فِـيـهَـا مَـقَـامَ الـتَّـنَـعُّـمِ (٥)

= الحكيمة، فعليه أن يحضر إلى قصره ليُشاهد حسن إدارته للبلاد ويتعلّم من مواهبه السياسة على أصولها.

(١) يُتابع الشاعر مدح كافور؛ يصعب على الملأ أن يجدوا في كافور مطعناً، فهو ليس بالضعيف المتخاذل، بل إنه واسع الحيلة، يُحسن التصرّف في كلّ الظروف، فضلاً عن أنه كريم جداً؛ وهذا ما يتعب من يبحث عن نقائص فيه.

(٢) أحجمت: تأخّرت. لا يُعدّ شجاعة من كافور إذا طلب من الكتيبة المتردّدة فلا هي تتقدّم للقتال ولا هي تنكفئ. والقلّة من أولي الأمر من يطلب من الكتبة المبادرة إلى القتال. والشجاعة الحقّة أن يهجم القائد على رأس جيشه ليُقاتل الأعداء.

(٣) الطِّرف: الجواد الكريم. النقع: الغبار. اللهوات، الواحدة لهاة: اللحمة المتدلية في أقصى الحلق، يمدح الشاعر كافوراً بأنه يثبت في ميدان المعركة عندما يشتدّ أوارها ويتصاعد الغبار مخيّماً عليها، فإذا بالفرسان يستعين كلّ منهم باللثام اتقاءً من الهواء والغبار؛ فهو يثبت ثبات الجبابرة لا يُرهبه لهيبها، ولا يعرف الخوف إلى قلبه طريقاً.

(٤) البيض: السيوف. تتكشف رغبة الشاعر عن لؤم طبع، وقد ألمح في مطلعها بأنه حليم، وها هو الآن يطلب من أبي المسك أن يُعينه على أعدائه ويجعله في علو منزلة تُتيح له قتلهم بالسيوف وتُزيل حنقه برؤية دمائهم، إنه ذو نزعة قرمطيّة متعطشة إلى الدماء.

(٥) يُتابع الشاعر أنه يتمنّى يوم بؤس لأعدائه وحسّاده يشفي به غيظه منهم، فيحلّ بهم =

وَلَـــمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْـــلَ ذَاكَ وَمَـــنْ يُـــرِدْ
مَـوَاطِـرَ مِـنْ غَـيْـرِ الـسَّـحَـائِـبِ يَـظْـلِـمِ (١)
فَـلَـوْ لَـمْ تَـكُـنْ فـي مِـصْـرَ مَـا سِـرْتُ نَـحْـوَهَـا
بِـقَـلْـبِ الـمَـشُـوقِ الـمُـسْـتَـهَـامِ الـمُـتَـيَّـمِ (٢)
وَلَا نَـبَـحَـتْ خَـيْـلِـي كِـلَابُ قَـبَـائِـلٍ
كَـأَنَّ بِـهَـا فـي الـلَّـيْـلِ حَـمْـلَاتِ دَيْـلَـمِ (٣)
وَلَا اتَّـبَـعَـتْ آثَـارَنَـا عَـيْـنُ قَـائِـفٍ
فَـلَـمْ تَـرَ إِلَّا حَـافِـراً فَـوْقَ مَـنْـسِـمِ (٤)

= الشقاء والعذاب؛ فعزّه يُقابله العذاب لحسّاده فيشقون ويتألّمون: إنه إمعان بالكيد يتنافى مع الحلم المزعوم.

(١) يُخاطب الشاعر كافوراً آملاً أن يصدق حدسه فيه، وهو في الحقيقة موضع ثقته بأنه سيُحقّق أمله ورجاه، لقد آمن أنه قادر على تحقيق أمله، فهو قد رجا مطراً في سحب مليئة بالمطر تحمل الخير العميم، إنه وضع الشيء في موضعه.

(٢) المستهام: العاشق الذي ذهب عقله لشدّة حبه. المتيّم: العاشق الذي ملك الحبّ عليه قلبه ومشاعره فاستعبده. لقد توجّه إلى مصر، وكلّه أمل بتحقيق أمانيه لوجود كافور فيها، علماً أنه القادر على الاستجابة لرغباته، فإذا به يشدّه إليها حبّه وعقله المستهام، فقد ملك حبّ كافور على قلبه ومشاعره فاستعبده.

(٣) الديلم: جيل من الأتراك، كانت بينهم وبين العرب عداوة، فصار اسمهم رمز العداوة. يذكر الشاعر ما لاقاه في رحلته إلى كافور، لقد واجه أخطاراً عظيمة، وعومل معاملة الأعداء، فإذا بكلاب تلك القبائل التي مرّ بها تنبح على خيل الشاعر محذّرة من الاقتراب، كأنها رأت الديلم يُغيرون على تلك القبائل تُؤذن بالخراب والدمار.

(٤) القائف: من يقفو آثار الراحلين. المنسم: خفّ البعير. يُتابع الشاعر وصف مسيره إلى كافور، فثمة من كان يُلاحق الركب لإرجاعه إلى سيف الدولة، فإذا بالشاعر يستعين بالإبل لأنها أقوى على السير في الصحراء وعمد لإراحة الخيل، ممّا جعل القائف يحتار ويتردّد في متابعة رحلة الشاعر لأنه استطاع الإفلات والوصول إلى كافور.

وَسَمْنَا بِهَا الْبَيْداءَ حَتَّى تَغَمَّرَتْ
مِنَ النِّيلِ وَاسْتَذْرَتْ بِظِلِّ المُقَطَّمِ (١)
وَأَبْلَجَ يَعْصِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ
عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيري وَلُوَّمِي (٢)
فَسَاقَ إِلَيَّ الْعُرْفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ
وَسُقْتُ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجَمْجَمِ (٣)
قَدِ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْ لَهُمْ بِنَا
حَدِيثاً وَقَدْ حَكَّمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمِ (٤)
فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ
وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمِ كَفُّ مُنْعِمِ (٥)

---

(١) البيداء: الصحراء. تغمّرت: أي شربت دون الريّ. استذرت: نزلت في ذراه. المقطم: جبل بجانب مدينة القاهرة. يُتابع الشاعر وصف رحلته وسط المخاطر، فقد اخترق صحراء لم تُطرق من قبل، فإذا به أول رائد لها، فوسمها بما معه من إبل، وعندما أشرفت على النيل شربت قليلاً من الماء لأنها كانت متعبة فقلّ شربها، وحالما وصلت إلى جبل المقطّم استظلّت به.

(٢) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه ١١٧. يروى «أبلخ» بالخاء بدلاً من «أبلج». وأبلج: الطلق الوجه. يمدح الشاعر كافوراً بأنه طلق الوجه، فثمّة من أشار على الشاعر بالتوجّه إلى كافور، وقد عصى من لامه على الذهاب إليه لخوفه من مغبّة الأمر، ورغم ذلك فقد قصد الشاعر كافوراً.

(٣) العرف: المعروف. جمجم الكلام: عماه وأخفاه. يذكر الشاعر عطايا كافور فقد خلت ممّا يكدّرها من منّ أو أذًى، ولقد اعترف المتنبي بفضل ممدوحه فكان شكره خالصاً لم يشبه شائبة مكر.

(٤) الأملاك: الملوك. يخاطب الشاعر كافوراً، منوّهاً بفضله عليه؛ إنه اختاره من بين سائر الملوك، متوسّماً في وجهه الخير، ينتظر أن يُلبي رجاءه في ما جاء به إليه، فالملوك وسائر الناس ينتظرون كيف يعود الشاعر بعد ملاقاته ممدوحه فهل يمنحه ما أراد ليذكروا فضله، وإن لم يفعل فسوف يشمت القوم به ويذمون كافوراً على ما بدر منه.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. الورى: الخلق. أيمن: أكثر بركة. يُبدي الشاعر رأيه أن أفضل وجوه البشر وجه كريم معطاء ذو كفّ يبذل العطاء ويحمل في أثنائه اليمن والبشرى والبركة، فذلك كفّ منعم لا يتوانى عن خير. =

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً
وَأَكْبَرَ إِقْدَاماً عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ (١)
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا
سُرُورَ مُحِبٍّ أو إِسَاءَةَ مُجْرِمِ (٢)
وَقَدْ وَصَلَ الْمُهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ
مِنِ اسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُنْقٍ وَمِعْصَمِ (٣)
لَكَ ٱلْحَيَوَانُ الرَّاكِبُ ٱلْخَيْلَ كُلُّهُ
وَإِنْ كَانَ بِالنِّيرَانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ (٤)
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا
وَصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا ٱنْتِظَارَكَ فَاعْلَمِ (٥)
وَلٰكِنَّ مَا يَمْضِي مِنَ الْعُمْرِ فَائِتٌ
فَجُدْ لِي بِحَظِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ (٦)

= يحاول الشاعر أن يُثير في كافور إحساسه بعظم ما سيقدم عليه من خير، وإلّا فسوف يُنعت بعكس ذلك ويجلب لنفسه الذم والهجاء.

(١) يُردف الشاعر متمماً فكرته أن الشرف يُكتسب بعلوّ همّة صاحبه، فبقدر بذله يرتقي في معارج الشرف ويسمو، ومن صفات الشريف أنه لا يتردّد في طلب المعالي، بل إنه يُقدم بكلّ ما أوتي من طاقة وعزيمة على فعل المكرمات، فهمّه إدراك كلّ ما هو عظيم.

(٢) يرى الشاعر أن الدنيا ساحة واسعة رحبة، يسعى المرء فيها لسعادة أحبائه ونفعهم بكل ما أوتي من قوّة ومال وجاه، ويعمل على الإساءة لأعدائه بكلّ ما أوتي من قوّة ومكر ودهاء، والمرء بين حبيب وعدوّ.

(٣) المعصم: موضع السوار من الزند. يذكر الشاعر المهر الذي أهداه كافور إليه بأنه من أمواله وخيوله، حتى كلّ ما يُوجد من داجن الحيوانات ممهورة باسمه، ولو لم تكن موسومة فهي من مسؤوليّته واسمه.

(٤) قصد بالحيوان الراكب الخيل: الإنسان. الموسم: المعلم. يُتابع الشاعر منوّهاً بسيطرة كافور الكلية على الحيوانات وراكبيها من بني الإنسان، وإن لم توسم بما يدلّ على ملكيته، وهذا ما يناقض الواقع، إنه من المغالاة التي تتنافى مع طبيعة الإسلام كدين والمنحى الإنساني في المجتمعات المتحضّرة.

(٥) و (٦) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. يُخاطب الشاعر كافوراً لو =

رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً
وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسَلِّمِ (١)
وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ ٱلْوَسِيطَ فُؤَادُهُ
فَكَلِّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَتَكَلَّمِ (٢)

من الحِمام إلى الحِمام

نالت أبا الطيب بمصر حُمَّى فقال يصفها ويعرض بالرحيل عن مصر وذلك في ذي الحُجة سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة (٩٥٩م):

[الوافر]

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ
وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ (٣)
ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ
وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامِ (٤)

= أنه يعلم مقدار عمره لقسّمه أقساماً أربعة وجعل ثلاثة منها لانتظار تحقيق وعده، وهنا يُنبهه محذّراً أنه قد يُغيّر مسلكه معه فيُقدم على أمر لا تُحمد عقباه.

(١) استدرك الشاعر بعد كتاب كافور أنه راضٍ بما يُرضيه محبّةً وانقياداً بطواعية آملاً أن يتصرّف كافور بما يرضيهما معاً وما يجمعهما من حبّ، فقد سلّم إليه أمره.

(٢) وبمكر ذكي جعل الشاعر فؤاد كافور وسيطاً وحكماً بينهما، إنه يقبل به حكماً، لأنه يعلم يقيناً بشدّة حساسية قلبه، فلا يحوجه إلى الكلام والترجّي.

(٣) يُخاطب الشاعر صاحبيه موافقاً على لومهما له، إنه بدافع الحبّ والغيرة وذلك لأنه يُخاطر بنفسه في بلاد يفتقد فيها إلى صاحب ومُعين، ولكن الأمر ليس بيده، إنه الطموح إلى المجد، لذا فإنه أجلّ من أن يُلام لنبل الهدف وسمو المحاولة.

(٤) ذراني: اتركاني. الفلاة: الصحراء. الهجير: حرّ الظهيرة في الصيف. يطلب الشاعر من صاحبيه أن يتركاه وشأنه يُواجه مصيره بما أوتي من قوّة، إنه يُواجه الصحراء بحرّها اللاهب في الظهيرة، لا دليل يهديه على مجاهلها، لأنه على علم بفلواتها ووديانها وجبالها، ولقد اعتاد على رياحها اللاهبة التي تحمل معها رمالاً فلا يحتمي منها بلثام أو يختبئ في هضابها.